

احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

— ٣ —

٤ - تجيلت الأجيال

الجيل الصنف من الناس كما في الصحاح وغيره من كتب اللغة والجيل القرن كما في المصباح وانتاج ، وهذا المعنى له مولد ، وهو في كلام كثيرين من العلماء مثل ابي العلاء وابن حزم وابن نبيمة وابن عربي وابن خلدون وغيرهم اشتق المولدون من (الجيل) فقال المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر (ج ١ ص ٦٢):

«تجيلت الاجيال» وقد استجاد العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي هذه اللفظة فنتشها من (المروج) واستعملها في احدى مقالاته في الضياء (السنة ٧ ص ٣٥٧) فقال كما قال المسعودي (تجيلت الأجيال) واللفظة مولدة ، ولم ترد في معجم ، وقد رخصها ولم ينكرها في حين انه هو القائل في مجلته (الضياء السنة ٨ ص ٢٩٢):

«٠٠٠ وحجتهم في هذا الأخير ان ما نجد بين الواح المعجمات . ليس هو اللغة كلها وانه قد بقي شيء كثير يؤخذ من تضاعيف كتب الأدب والتاريخ وغيرها ، فاذا وجدت من اللفظ ما لم يذكر في كتب اللغة لم يكن عدم ذكره دليلاً على انه ليس مما نطقت به العرب لجواز ان يكون مما سقط عن اصحاب المعجمات . وهي كما ترى من غريب الدعاوي بعد ما علم من حرص الذين جمعوا اللغة على الاحاطة بجمع الفاظها حتى استقرت واهلها أشعار العرب واستظفروا بها على إثبات ما نقلوه ولم يقنع بعضهم حتى رحل الى قبائل البادية ، وأقام بينهم زمناً يلتقط اللغة من افواههم ٠٠٠» وقول الشيخ هو - كما ترى - من غريب الأقوال بعد ما استيقن ان كتب اللغة لم تحو جميع اللغة ، وقد فاتها شيء كثير من كلام العرب بل اكثر من الكثير

— ٢٠٨ —

هذا ديوان المفضليات وديوان الحماسة^(١) ، وهما أشهر من الشمس ومن القصر فات المعجمات المطبوعة التي نعرفها كثير من الفاظها وقد علمنا ان عربانيا^(٢) من الاوروبيين وضع معجماً خاصاً لكلمات في ديوان الفرزدق لم تقيدها كتب اللغة^(٣)

وفي (ذيل أقرب الموارد) للعلامة الشيخ سعيد الشرتوني الفاظ كثيرة لم ترد في المعجمات جلبها من دواوين حجة ، منها ديوان الأخطل و كنت نشرت مقالة منذ مدة ، ذكرت فيها (التزمين) . وزمته : كتبه في ديوان الزمعي ليعذر عن الجهاد ، وهذه اللفظة لم تجيء في معجم نعرفه ، وقد وردت مرتين في خبر في (ذيل الامالي) ص ٧٠ أرويه هنا : « ابن زريق من بني لام عن ابيه قال : كان رجل منا يقال له عسرام بن المنذر قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه) فدخل عليه [ليزمّن] فقال له عمر : ما زمانتك ؟ فقال :

ووالله ما أدري أدركت أمة علي عهد ذي القرنين ام كنت أقدماً .

متى تنزعا عني القميص تبينا جناجن لم يكسين لحمًا ولا دما

فقال عمر : ويحكم ! دعوا هذا [وزمّوه] فانه لا بدري متى ميلاده^(٤) »

ولو وقى الدهر لنا (البارع) لأبي علي القالي ، وهو كتاب « يحتوي على مئة مجلد لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب^(٥) » ووقى غيره من كتب اللغة

(١) قال التبريزي في شرح الحماسة : واشعارهم كثيرة والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام وعلماء النظام ، ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة . وقال الزنجشيري في الأساس : لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع أبو تمام ولا في المقصودات مثل ما جمع المفضل

(٢) في شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقي ص ١٤٨ : اذا نسبت رجلاً انى انه يتكلم بالمرية وهو من المعجم قلت رجل عرباني . ومثل ذلك في كتاب الف باء لأبي الحجاج البلوي [ج ١ ص ٧٢] واطلاق العرباني على عارف المرية من القوم خير عندي من المستشرق ، ولجملتهما العلمي الرأي الأعلى

(٣) في مقالتي [خليل مردم بك وكتابه في الشاعر الفرزدق] في الرسالة ذكرت بعض الفاظ لآبي فراس همام لم ترد في المعجمات . (٤) وروى هذا الخبر السجستاني في كتابه (أخبار الأوائل)

(٥) روى القسول ياقوت في (ارشاد الأريب) في سيرة اسماعيل بن القاسم القالي ، وقائله هو الشيخ الامام ابو محمد الرقي ، وكتاب (البارع) هذا لم يثر الا على جزء واحد منه ونشره العرباني (فلان) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية

م (٢)

لوجدنا تلك اللفظة وألوفاً من أمثالها فيه وفيها قال السهوتي في (المزهر) :
 « ٠٠٠ وقد ذهب جل الكتب في الفتن الكائنة من التتار وغيرهم ، بحيث ان
 الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجبي حمل حمل واحد ٠٠٠ »
 ومن الإساءة الى العلماء المتقدمين واجتهادهم وعنائهم ومن الجور الجائر ان
 نلومهم اذ لم يستوعبوا في مصنفاتهم الفاظ العربية كلهن جمع ، فكل قد جمع ما استطاع
 جمعه او ما رأى إيراد في كتابه ، وفي معجم ما ليس في آخره ، وكافأ الله كل
 من خدم العربية في كثير أو قليل
 هذه اللفظة المسكين (التعيس) التي خطأها الشيخ ابراهيم اليازجي وخطأ
 جمعها (التعساء) اذ لم يجدها في مثل اللسان والتاج (الضياء ١ ص ٣٢٤) قد وجدت
 في جمهرة اللغة (ج ٢ ص ١٦) قال ابن دريد :
 « التعس : العثر ، اتعسه الله اي كبه واعثره ، والرجل تاعس وتعس وتعيس :
 ووجدت اللفظة في (رسالة الغفران) لابي العلاء ص ٨٠ في هذا البيت من قصيدة «
 حتى اذا صارت الى غيره عاد من الوجد بجد تعيس
 وقد رأى الاستاذ أسعد خليل داغر الشيخ اليازجي قد غلطها فغلطها (تذكرة
 الكاتب ص ١٣١)

* * *

٥ - كيف

لم يكن في العربية الأولى الا هذا الحرف (كيف) ثم قال المحدثون :
 كيف وتكيف وكيفية
 جاء في (النهج) : ما وحده من [كيفه] ولا حقيقته أصاب من مثله
 وقال : وإنك انت الله الذي لم تنناه في العقول فتكون في مهب فكرها
 [مكيفاً] ولا في رويات خواطرها محدوداً مصرفاً
 وفي التاج : « وقول المتكلمين في اشتقاق الفعل من كيف : كيفته فتكيف
 فانه قياس لا سماع فيه من العرب . ونص اللحياني : فأما قولهم : كيف الشيء فكلام

مولد (قات) : فعنى بالقياس هنا التوليد ، قال شيخنا ^(١) : أو أنها مولدة ولكن
أجروها على قياس كلام العرب «

قلت : نعم ، هي مولدة ، ولم تسمع من العرب الأول . والأمر كما قال شيخ
الزبيدي . ومثل التكيف والكيفية الأزل والأزلية فأنهما من لم يزل . وقد جاء في النهج :
الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته . وفيه : ومن حده
فقد عدده ، ومن عدده فقد أبطل أزاله

قال اللسان : وذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم ، لم يزل ،
ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا بالاختصار فقالوا : يزلي ، ثم أبدلت الياء الفاء لأنها
أخف فقالوا : أزلي وفي الجهرة والأساس ، والقاموس والتاج ، والمزهر وشفاء الغليل
والكليات بحث في هذه اللفظة . ولقد مشى (الأزل) في الدنيا غير عابئ ببولولة
المخطئين من بعض اللغويين

* * *

٦ - التطور

ذكرت الفعل (تطور) في مجلتنا هذه في الجزء (٩) من المجلد (١٣) وفي الرسالة
٢٤٧ السنة (٦) وأوردت عبارات في (الطبقات الكبرى) للسبكي ومقدمة ابن خلدون
وكليات أبي البقاء و (البدر الطالع) للشوكاني جاء فيها (التطور) وفعله

(١) ذكره صاحب التاج في مقدمة كتابه قال : ومن أجمع ما كتب عليه [على القاموس] مما
سمعت ورأيت شرح شيخنا الإمام اللنوي أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد القاسي التولدي بإسناد سنة ١٠١٠
والمتموفي بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ وهو عمدي في هذه الفن والمقلد جيدي العاطل بحلى تقديره المستحسن ،
وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين

(قلت) لم يزل في الأقطار المغربية خير كثير ، جانا بالأمس محمد بن الطيب هذا ، وطام علينا
في المشرق في هذا العصر الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنيطي ، وقد كان الأستاذ الإمام
وجهة الإسلام يرجع إليه في مشكلات لغوية ، وهو القائل في الميضية :

سيديكيني المفتي إذا احتاص مشكل تتم كالأروى على طودها العصم
فمصم اللغات كنت انزلها له إذا احتاصت أرواها على كل ذي فهم

وهي قصيدة طويلة أوردتها في أول مؤلفه (الحامسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنيطية التركية ٠٠٠)

• وما قلته في الرسالة: «الألفاظ العربية قسمان: قسم نبت في (الجزيرة) في الجاهلية وقسم نشأ فيها وفي غيرها من البلاد الإسلامية في وقت (الحضارة العربية) وكتب اللغة المعروفة بالمعجمات حرصت على تقييد القسم الأول، والقسم الثاني (أي جل الكلمات العربية) إنما هو في مؤلفات العلم والأدب والمصنفات الخاصة، وهو ينتظر معجماً عاماً شاملاً ينتظمه»

ومما اذكره هنا طرفة ان الأستاذ اسعد خليل داغر لم يقبل (التطور) تذكرة الكاتب ص ٦٢ وقبله بل قبل التطورات ٠٠٠ العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي الضياء السنة ٧ ص ٣٥٧ قال: «٠٠٠ وبقي وراء ذلك من النوازل الكونية والحوادث العمرانية و [تطورات] الانسان في الصناعة والسكنى والمعاش وسائر أحوال المدنية مما استغرق مئات كثيرة من القرون - ما مُسَدل دونه حجاب الغيب، وطوي بين تضاعيف الأيام» واليقين ان لو آتس الأستاذ داغر اللفظة في (الضياء) ما كان انتقد ٠٠٠ وهذه الكلمات المولدات السابقت الست اوردتها نموذجات، ولوجبت اطول البحث لسردت فيه من أخواتها مئات بل أكثر من المئات

* * *

اختتم هذه الأحاديث بقول من أقوالي في العربية
[إنها صنع الله، إنها لغة القرآن! إنها اللغة العربية، إنها ذات التعاجيب، وذات الأمداد في اللفظ والاسلوب، وإنها ينبوع ذو الماء العذ لا الضحاح يتواري بعد قليل ولا التمدد. وانها ذات المال الجور، والعساكر من الوفرة، والمرء معطاء اذ المال دثر. وقد استنجد بها قومها يوم طلعت عليهم علوم الروم وآداب الفرس فطارت اليهم المنجدات زرافات زرافات. وهذه آثار النجدة قد طبقت الآفاق

أي علم من العلوم ناداها فما لبته؟

أي فن من الفنون دعاها فخذلته؟

أي مبحث من المباحث اللطيفة الدقيقة قال لها: يا عربية، وضحي بي، بينيني،

نوريني فما وضحته وما نورته

بني أي وقت نُدبت فإ انتدبت وتقاعت ؟
 في أي وقت استرفدت فتلكأت أو قرطت يوماً على مسترفد] .
 انها اللغة العربية المضربة المعربة ^(١) المشتقة المتصرفة المتينة ذات القوة
 والسائرة مع الزمان

محمد اسعاف النشاشيبي

—>>><<<—

(١) العربية التي تمرب الكلمة والقول والقائل وتم عربت العربية من الكلمات والمفالات والناس
 ومن عربته ونطق بلسانها فهو من أبنائها . وان جاء مثل نور الدين . وصلاح الدين قدم في العربية والدين
 مع الخلفاء الراشدين في مرتبة واحدة ، وان طلع كنظام الملك كاد بفضل المؤمن وعبد الملك .
 وفي كتاب (الوحي المحمدي) تأليف الامام حجة الاسلام (رحمه الله ورضي عنه) كلام اكتبه
 ليغله كل عربي ويستظهره .
 « لقد كان النبي ﷺ ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم
 وجملهم أمة واحدة وكان يخص بجمته وانكاره التفرق في الجنس النسبي او اللغة ، أما الأول فمشهور ،
 وأما الثاني فيجمله مع الأول الشاهد الآتي . » ثم ذكر خبراً رواه الحافظ ابن عساكر جاء فيه :
 « يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والأب واحد وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم
 من أب ولا أم ، وانما هي اللسان ، فن تكلم بالعربية فهو عربي » ثم قال الامام : « أرايت لو ظل
 المسلمون على هذه التربية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ما وقع
 وأدى بهم الى هذا الضعف العام ؟ »